التعليم ضحيّة كوارثنا العربيّة

حسن مدن

«تسبّبت الحرب في غزّة في حرمان 625,000 طفل في سنّ الدراسة عاماً دراسياً كاملاً بسبب الدمار الذي لحق بالمدارس والمنشآت التعليمية الأخرى»، بحسب تقرير لمنظمة الأمم المتحدّة للطفولة (يونيسف)، قالت فيه، أيضاً، إنّ ما يقرب من 93% من مدارس القطاع، وعددها 564، تعرّضت لأضرار بالغة، بسبب العدوان الصهيوني المستمر منذ عام، الذي جعل جميع أطفال غزّة (1,2 مليون) بحاجة إلى دعم عاجل على صعيد الصحة النفسية، فيما يفيد تقرير صدر قبل شهرين عن مجموعة التعليم الدولية، وهي «آلية تنسيقية تجمع بين المنظمات والوكالات لتلبية احتياجات التعليم في أثناء الأزمات الإنسانيّة»، بأنّ الضفة الغربيّة المحتلّة تواجه، هي الأخرى، «استهداف المعلمين والطلاب بالعنف، والعمليات العسكريّة الإسرائيليّة والغارات على المدارس وما حولها، وعنف المستوطنين، وتدمير المرافق التعليميّة».

هذا بعض ما ينقله تقرير شامل نشره موقع بي بي سي باللغة العربية، وضعته سهى إبراهيم. وما يعاني منه التعليم في قطاع غزّة والضفة الغربية من صعاب كبيرة جزء من مجمل المعاناة الشاملة في مجالات الحياة الأخرى هناك، وفي مقدّمتها تدمير المباني السكانية وتهجير أهلها، كذلك فإنّه ليس سوى جزء من معاناة عربية عامة في التعليم، تناولها التقرير، بشيء من التفصيل.

وفق «يونيسف» أيضاً، «يواجه ملايين الأطفال تعطلاً حاداً في تعليمهم نتيجة الصراعات والحروب التي تُدمّر البنية التحتيّة التعليميّة، وتحدّ من الوصول إليها». ومن مظاهر تأثير الحرب والصراع في التعليم، يقف التقرير أمام الوضع في لبنان وليبيا والسودان وسورية واليمن، بالإضافة إلى الأراضي الفلسطينيّة، فكلّ هذه البلدان تعاني من كارثة حرمان ملايين من الفتيان والفتيات دخول المدارس والاستمرار فيها حتى تخرّجهم، ما يعني أن موجة من الأميّة والجهل قادمة لا سبيل لتحاشيها، ونعلم ما للتعليم من دور محوري في نهضة الشعوب وتقدّمها وعيها، فيما نجد أنفسنا اليوم إزاء حقيقة أن أكثر من نصف الأطفال في المنطقة يعانون مما وصفه التقرير «فقر التعلم»، حيث لا يستطيعون القراءة في الحدود التي تسمح بها أعمارهم، «ويُقدّر أن 15 مليون طفل في سنّ الدراسة (من 5 إلى 14 عاماً) هم خارج المدرسة، وعشرة ملايين طفل آخر معرّضون لخطر الانقطاع عن التعليم».

لنلقِ نظرة على الدول التي تعاني، أكثر من غيرها، من هذه الأزمة. في السودان الذي تطحنه حرب أهلية ضروس، لا يبدو أنّ هناك أفقاً واضحاً لإنهائها، وربما يسفر عنها تقسيم جديد للبلاد، بعد أن انفصل عنها الجنوب وأصبح دولة مستقلة، فملايين الأطفال في أنحاء السودان، اليوم، أجبروا على الفرار. وهناك أكثر من 19 مليون طفل سوداني خارج المدرسة، نزح منهم 12,5 مليون حديثاً، ما يعني أنّ نظام التعليم في البلاد قد انهار أو أنه على وشك الانهيار.

ليس الوضع في اليمن أفضل حالاً، فالحديث يدور، هنا أيضاً، عن أنّ 2,7 مليون طفل خارج النظام التعليمي، بينما يحتاج 8,6 ملايين إلى دعم لمواصلة تعليمهم، مع تعرّض ما يقرب من 2,800 مدرسة للتدمير، أو التّضرّر، أو إعادة الاستخدام لأغراض غير تعليميّة، ما يعني تعرّض ملايين الأطفال لخطر فقدان حقّهم في التّعليم، على خلفية الحرب الأهليّة التي تعدّ «من بين الأسوأ على مستوى العالم، حيث يحتاج أكثر من نصف سكّان البلاد، وتعدادهم حوالى 33 مليون نسمة، إلى المساعدات الإنسانية من أجل البقاء، على قيد الحياة».

طبيعيٌّ أن ينال الاهتمام الأكبر ما تجرّه الحروب من خسائر بشرية موجعة، حيث تتضاعف أعداد القتلى والجرحى، وموجات المهجّرين من ديارهم، بعد تدمير بيوتهم وبلداتهم، لكنّ آثار الحرب تمتد لتنال، أيضاً، أوجهاً حيوية من البنية التحتيّة في الصحة والخدمات الاجتماعيّة الأخرى، ومن بينها التعليم، في كارثة «عابرة للأجيال».

شظايا... إنسان ومجتمعات ودول

محمد أبو رمان

عندما كتب الشاعر والمسرحي والسناريست السوري ممدوح عدوان كتابه النثري «حيونة الإنسان»، جعل تركيزه على خطورة التعذيب والعنف بأنواعه وأشكاله المتنوعة والمتعدّدة، المادية والرمزية، على مفهوم الإنسان نفسه، وما يصنعه به من تحطيم قيمي ونفسي كبير، وهي حالة قد تكون متقدّمةً على ما وصلنا إليه اليوم من معطيات وواقع أكثر خطورة وأشدّ تحطيماً، ليس فقط للجانب النفسي والقيمي، ولا حتى السلوكي، بل حتى الوجودي نفسه؛ إذ تعيش نسبة كبيرة من الشعوب العربية اليوم خارج أيّ إطار للأمن الإنساني بأبسط معْ

أن تكون في مقهى في مَخيم طولكرم يمكن أن يأتيك صاروخ (من مكان ما) ويقضي عليك، لا لأنك مقاومٌ أو مجاهد، بل لأنّك كنت تجلس تشرب الشاي وحولك (ربما) أحد الذين تطاردهم قوات الاحتلال، وربما تفقد حياتك أو كرامتك وأنت تسير في مركبتك على الطريق العام، فتجد مرافقين من المستوطنين العصابيين يوقفونك، ويهينونك، وربما ينتهي الأمر إلى قتلك، والحال كذلك ربما تتعرّضين للاغتصاب في إحدى مدن السودان على يد أحد الفرقاء، والحال في غزة حدّث ولا حرج، فلا وصف يمكن أن يحيط بحجم تلك الكارثة الإنسانية والنفسية والرعب الشديد للناس هناك. أكثر من مليون نازح لبناني من الجنوب يتكدّسون في الشوارع وفي حياة غير إنسانية في المناطق الأخرى، في دولة هشّة أصلاً ولا رئيس لها، وجيشها غير مؤهل وهو خارج معركة خطيرة تحدُّ على أراضيه، والحكومة خارج دائرة القرار، وهنالك للمفارقة أكثر من 185 ألف لاجئ سوري ولبناني هربوا إلى سورية، بعدما كانت هنالك مناوشاتٌ بين لبنانيين والسوريين اللاجئين في لبنان!

أمّا سورية فقصة مرعبة قديمة - جديدة، لا توجد حكومة واحدة، بل حكومات وسلطات وميليشيات كل منها له ارتباطه الإقليمي؛ 13 مليون سوري مهجّر قسراً، 7,5 ملايين نازحون، و6,5 ملايين لاجئون، وأكثر من 131 ألف شخص معتقل أو مختف قسرياً (في السجون) في سورية، لدى النظام، منذ مارس/ آذار 2011، ماذا بقي من دولة وشعب وإنسان!

ربما غضب كثيرون من هجمة مشهودة لسوريين كثيرين على حزب الله، وعدم إبداء أي تعاطف مع ما يمرّ به الحزب وأعضاؤه من محنة كبيرة، بما في ذلك مقتل قيادات الصف الأول جميعاً، وهو ثمنٌ باهظ لوقف الحزب من نصف الأطفال في غزّة، وشخصياً أميّز بصورة حاسمة بين الموقف من حزب الله في دخوله سورية وما قام به من دعم النظام هناك والتنكيل بالآف السوريين، من جهةٍ، وموقفه ضد إسرائيل من جهةٍ ثانية، لكنني لا أبرّر، إنما أفهم موقف السوريين الذين دفعوا ثمناً كبيراً من حزب الله، لا بقلّ عما دفعه فلسطينيون من إسرائيل، وهذه المفارقة أو العضلة الأخلاقية- السياسية في عالم العرب اليوم، إذ تتسيّد المشاعر والعواطف وتتحكّم بالعقول والأفكار، فيصبح العقل عاطفة وغريزة من مختلف الأطراف!

بالنسبة لحزب الله، هم قاتلوا «التكفيريين» والمستأجرين والمتآمرين على محور المقاومة، ولا يمكن إنكار (أو تجاوز) العاطفة الطائفية والإرث العدائي التاريخي، وبالنسبة للملايين السوريين، نكّل الحزب بهم وقتلهم وشرّدهم، وإيران هي التي احتلت مدنهم وليست إسرائيل! نحن من لم نكتو بهذا الصراع الرير الكارثي نستطيع أن نحكم بهدوء، لكن من كان جزءاً منه، وفقد أخاً أو منزلاً أو بلداً فلا يمكن أن ينسى بسهولة ذلك.

لنكمل الجولة... أكثر من عشرة ملايين نازح وأكثر من مليوني لاجئ، وفظائع كبيرة. وفي غزّة، انعدمت شروط الحياة نفسها، مجاعات وتدمير وقتل وأكثر من مائة ألف جريح، عشرات آلاف منهم فقدوا أطرافهم، وأكثر من 40 ألف شهيد، والجميع مشرّد، ولعام كامل نكبة أكبر من النكبات التي شهدها الفلسطينيون سابقاً...

عام قاس من الألم والتضحيات والمقاومة البطولية المفعمة بالأمل

مصطفى البرغوثي

مع مرور عام على حرب الإبادة الجماعية التي تشنّها إسرائيل على الشعب الفلسطيني، تأكّدت جميع توقعاتنا منذ بداية العدوان أن رئيس حكومة الاحتلال نتنياهو لن يقبل وقف إطلاق النار، وأنه لا يعبأ بحياة الأسرى الإسرائيليين، وأنه سيوسع العدوان ليشمل لبنان وسورية وغيرهما، وسيحاول بكل طاقاته سحب الولايات المتحدة معه إلى حربٍ إقليمية مع إيران. وصار واضحاً أن دوافع استمرار الحرب وتوسيعها لم تكن فقط مصلحة نتنياهو الشخصية لإنقاذ نفسه من الحساب على فشله في «7 أكتوبر» وما تلاه، ومن قضايا الفساد التي تلاحقه، بل كانت المنظومة الصهيونية بكاملها، بحكومتها ومعارضتها، معنيّةً بتوسيع نطاق الحرب، ومدعومةً من مجتمع إسرائيلي انعطف معظمه نحو الفاشية والعنصرية الدينية الهوجاء. أما الولايات المتحدة وحكومات غربية عديدة فقد ألقت بكامل ثقلها العسكري والسياسي والمالي لدعم حرب الإبادة، وفي بعض الأحيان، للمشاركة فيها، واستخدمت أجهزتها الدبلوماسية للخداع والتضليل وتوفير الغطاء للعدوان الإسرائيلي المتواصل منذ عام. ولربما صحّ القول إن منطقتنا تشهد أخطر مرحلة في تاريخها الحديث منذ نكبة عام 1948، والعدوان الإسرائيلي في يونيو/ حزيران عام 1967.

ولم يعد ممكناً في الواقع فصل السياسة والأهداف الأميركية عن الإسرائيلية، وهي تتمحور في ثلاث اتجاهات: أولاً، السعي إلى تصفية الحقوق والقضية الفلسطينية بكل مكوّناتها، ومحاولة تنفيذ تطهير عرقي واسع ضد الشعب الفلسطيني، وذلك باستخدام سلاحي التطبيع مع المحيط العربي من جهة، والاستيطان الاستعماري والإبادة والعقوبات الجماعية من جهة أخرى. وذلك مغزى سلسلة قرارات الكنيست الإسرائيلي من قانون القومية اليهودي إلى قرار منع قيام دولة فلسطينية.

ثانياً، فرض الهيمنة الاستعمارية الإسرائيلية - الأميركية على جميع دول المنطقة، وتحطيم كل مقاومة لها، وكسر بعد ترحيلهم، والعمل على تفتيت السودان وسورية والعراق واليمن. وثالثاً، استخدام مؤامرة التطبيع لتدجين الدول العربية ومحاصرة القضية الفلسطينية ونضال الشعب الفلسطيني من أجل الحرية، غير أن حساب الحقل لا ينسجم مع حساب البيدر، كما يقال، إذ تواجه إسرائيل والولايات المتحدة وأتباعها في المنطقة وخارجها تحدّيات عديدة، فقد أثبت الشعب الفلسطيني قدرته على الصمود والمقاومة، وأفشل بنضاله، رغم عظمة التضحيات، جميع أهداف العدوان على غزّة، وأهمها التطهير العرقي لسكانه، وبعد عام، تبدو إسرائيل عاجزة عن اقتلاع المقاومة، أو فرض سيطرتها العسكرية على قطاع غزّة، أو استعادة أسراها بالقوة. ويصنع الفلسطينيون هناك مآثر بطولية لا سابق لها في الصمود والثبات.

وتواجه إسرائيل مقاومة شعبية وعسكرية شرسة في لبنان تكبّدها خسائر لم تتوقعها، وإذا ما أصرّت إسرائيل على تنفيذ هجومها البرّي الواسع، فيبدو أنها ستغرق في وحل مستنقعين عميقين في آن، في لبنان وغزّة، وهذا ما يحذّر منه صحافيون وعسكريون سابقون كثيرون.

> صورة الجبروت الاستخباري والعسكري الإسرائيلي قد مزّقها «طوفان الأقصى» موجّهاً إلى أصحابها إهانة عميقة

أما صورة الجبروت الاستخباري والعسكري الإسرائيلي فقد مزّقها «طوفان الأقصى»، موجّهاً إلى أصحابها إهانة عميقة، وهي صورة تتجلّى في كل مرة تضطر فيها الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا و دول أخرى إلى التدخّل العسكري المباشر لحماية إسرائيل، كما جرى في الهجومين الإيرانيين الأخيرين، وكما يؤكد إرسال الأساطيل والطائرات والجيوش الأميركية لتوفير الحماية لإسرائيل. ومن ناحية أخرى، تتصاعد العزلة الشعبية العالمية لإسرائيل بالتحوّل العارم في الرأي العام الغربي، والذي اقتحم صفوف الشباب في الحزب الديمقراطي الأميركي، وحتى في أوساط شبابية يهودية أميركية لم تَعُد قادرةً على احتمال بشاعة الجرائم الإسرائيلية. بالإضافة إلى خروج دول، كإسبانيا وأيرلندا والنرويج وسلوفينيا، عن الإجماع والانحياز الغربي للعدوان الإسرائيلي. بل إن حركة المقاطعة وفرض العقوبات وسحب الاستثمارات من إسرائيل وجدت، نتيجة فداحة الجرائم الإسرائيلية، أفضل فرصها للنمو والتوسّع. وأدّى التقاعس الرسمي العربي والإسلامي عن مساندة الشعب الفلسطيني في معركته ضد حرب التجويع والإبادة إلى تعمّق غير مسبوق للغضب الشعبي العارم، والذي لا يمكن إلا أن يجد متنفّساً له بإحداث تغيير حقيقي في سياسات الدول الرسمية، أو في مجمل ومسؤولون سياسيون سابقون كثيرون.

أما صورة الجبروت الاستخباري والعسكري الإسرائيلي فقد مزّقها «طوفان الأقصى»، موجّهاً إلى أصحابها إهانة عميقة، وهي صورة تتجلّى في كل مرة تضطر فيها الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا و دول أخرى إلى التدخّل العسكري المباشر لحماية إسرائيل، كما جرى في الهجومين الإيرانيين الأخيرين، وكما يؤكد إرسال الأساطيل والطائرات والجيوش الأميركية لتوفير الحماية لإسرائيل. ومن ناحية أخرى، تتصاعد العزلة الشعبية العالمية لإسرائيل بالتحوّل العارم في الرأي العام الغربي، والذي اقتحم صفوف الشباب في الحزب الديمقراطي الأميركي، وحتى في أوساط شبابية يهودية أميركية لم تَعُد قادرةً على احتمال بشاعة الجرائم الإسرائيلية. بالإضافة إلى خروج دول، كإسبانيا وأيرلندا والنرويج وسلوفينيا، عن الإجماع والانحياز الغربي للعدوان الإسرائيلي. بل إن حركة المقاطعة وفرض العقوبات وسحب الاستثمارات من إسرائيل وجدت، نتيجة فداحة الجرائم الإسرائيلية، أفضل فرصها للنمو والتوسّع. وأدّى التقاعس الرسمي العربي والإسلامي عن مساندة الشعب الفلسطيني في معركته ضد حرب التجويع والإبادة إلى تعمّق غير مسبوق للغضب الشعبي العارم، والذي لا يمكن إلا أن يجد متنفّساً له بإحداث تغيير حقيقي في سياسات الدول الرسمية، أو في مجمل

> صورة الجبروت الاستخباري والعسكري الإسرائيلي قد مزّقها «طوفان الأقصى» موجّهاً إلى أصحابها إهانة عميقة

العسكرية على قطاع غزّة، أو استعادة أسراها بالقوة. ويصنع الفلسطينيون هناك مآثر بطولية لا سابق لها في الصمود والثبات.

وتواجه إسرائيل مقاومة شعبية وعسكرية شرسة في لبنان تكبّدها خسائر لم تتوقعها، وإذا ما أصرّت إسرائيل على تنفيذ هجومها البرّي الواسع، فيبدو أنها ستغرق في وحل مستنقعين عميقين في آن، في لبنان وغزّة، وهذا ما يحذّر منه صحافيون

إسرائيل وخيار الحرب المفتوحة

صلاح الدين الجورشي

تغيّرت قواعد اللعبة كما أراد ذلك نتنياهو وحكومته الفاشية، ودخلت الحرب في مرحلة مختلفة ستكون أكثر شراسة ودموية، فقتل أمين عام حزب الله، حسن نصر الله، حدث كبير تجاوز كل الخطوط الحمراء المتفق عليها ضمنيا، وسيؤدّي حتماً إلى تداعيات خطيرة على مختلف الأصعدة، كان أولها الهجمة الصاروخية الإيرانية التي استهدفت عدة مواقع إسرائيلية. وهو الهجوم الذي لولا الدور الأميركي الكبير في التصدّي له لكانت الخسائر الإسرائيلية أضخم بكثير مما حصل، والذي تحرص الدولة العبرية على إخفائه والتقليل من شأنه. وبذلك، فتح الباب أمام احتمال اندلاع حرب قد تتحوّل إقليمية مفتوحة زمنيا وجغرافيا، رغم أن غالبية الأنظمة في منطقة الشرق الأوسط ستنأى بنفسها عن المشاركة فيها بأي شكل.

تغيير القواعد في مفهوم القيادة الإسرائيلية ذو دلالات عديدة، منها: استعمال القوة الغاشمة لتسوية الملفات والخلافات، والأقوى هو الأقدر على فرض أجندته على البقية. عدم الالتزام بالقانون الدولي والمواثيق الدولية، والعودة إلى الاستعمار كمنظومة للتوسع. عدم التقيد بما تمليه القيم الأخلاقية والأعراف والضوابط والتوافقات الدبلوماسية، ما يعني استباحة الدماء والحقوق والحدود والجغرافيا.

ويدلّ ما حصل طوال الأشهر الماضية بوضوح على أن الحكومة الإسرائيلية طبّقت هذه القواعد حرفيا، وتعمل على مواصلة السير على النهج نفسه. وقد رفضت بشكل كامل كل الدعوات التي صدرت عن الأمم المتحدة ومحكمة العدل الدولية والاتحاد الأوروبي وبقية الهيئات الدولية والإقليمية. ويكفي التذكير بأن نتنياهو ألقى خطابه أخيراً في الجمعية العامة للأمم المتحدة أمام قاعة شبه فارغة بعد انسحاب أغلب الوفود الرسمية. ولم يكتف بتهديد كثير من هذه الدول، بل كان في تلك الجلسة مقدماً على ارتكاب جريمة علنية، تمثلت في اغتيال حسن نصر الله، الرجل الذي يمكن الاختلاف معه بشأن اختياراته السياسية، لكنه يتمتّع بكفاءة سياسية وقدرة على بناء التوافقات واحترام التعهدات، ويعرف أين يقف ومتى. وإذا كان اغتياله قد أضعف الحزب، وخلط الأوراق وعمّق الفراغ وفتح أبواب المجهول. إلا أن ذلك قد يؤدّي إلى نتائج لم تتوقعها تل أبيب وواشنطن. تترك هذا الأمر للزمن الذي سيكشف ما سيترتب عن هذا العنف غير المسبوق في منطقة ملتهبة، فاستعمال 83 قنبلة، كل واحدة تزن طنّاً، من أجل قتل شخص، هو فعل يتجاوز في رمزيته الفرد الذي جرى اغتياله، ليدلّ على رغبة في الانتقام من أمةٍ لا يسمح لها بأن تنافس الكبار، وتفكّر في التحرّر واسترجاع حقوقها الضائعة، فوراء مشهد الدمار رسالة موجهة إلى أبناء المنطقة وشعوبها مضمونها عدم التفكير في مقارعة بني صهيون أو الوقوف وجها لوجه أمام قادتهم الذين يحكمون العالم برعاية ربانية. هذه هي خلفية الانفجار الكبير الذي هزّ بيروت، وكاد أن يدخل لبنان في متاهة بدون نهاية، فلكل حدث سياسي كبير خلفيته الرمزية التي على الجميع تفكيك ألغازها وإظهار أبعادها المستقبلية. وكلما ارتفعت نسبة الحقد والكراهية والسعي إلى تدمير العدو ازدادت، في المقابل، الرغبة في ممارسة أقصى درجات العنف واللجوء إلى أبشع الوسائل وأقساها. القوة لا تواجه إلا بالقوة في عالم اختلت فيه الموازين، واعترف فيه الجميع بأنهم عاجزون عن التحكّم في الوحش الإسرائيلي وضبط تصرّفاته، فلا معنى للدبلوماسية في مثل هذه المعركة. وهذا درسٌ حي للمقاومة داخل فلسطين. فالهدف الإسرائيلي من استعراض القوة ضد لبنان وإيران هو التفرّغ لتصفية المقاومة وتدميرها نهائيا بأي ثمن وبأي وسيلة. وعلى الجميع أن يتذكّروا دعوة ذلك الصهيوني الأحمق إلى القاء قنبلة نووية على المقاومين داخل الأنفاق. قد يرى بعضهم ذلك ضربا من الجنون، لكن ما حدث لمقر حزب الله يدلّ على أن هؤلاء الصهاينة قادرون على ارتكاب أي جريمة مهما كانت بشعة ومحرّمة. والأدهى أن الجناح المتطرّف في تياراتهم الدينية يحرّضهم لفعل ذلك، ويبرّره توراتيا، ويجعله درجة عالية في الإيمان وكسب رضوان الرب.

الصحراء والتعبير عن الرأي

عبد القادر الشاوي

مجزّد تبرير، وهو ذاتي صرف، أسوقه هنا لأعبر عن ضيق شخصي من ظروفٍ أصبحت في مغرب اليوم «تتشخّص» تدريجياً في موانع محدّدة لأشعورية تقريباً، غير مسنونة، يراها كل باحث أو محلّل يريد، من زاوية الوعي النقدي، أن يتحدّث عن قضية الصحراء في العموم، أو عن «الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب»، المعروفة اختصاراً ببوليساريو، في الخصوص، أو عنهما معاً بحكم الاتصال. وأرى، تبعاً لذلك، أن من النادر أن تجد اليوم من يبلور رأياً، أو يطوّر مفهوماً، أو يعرض تحليلاً سياسياً في علاقة بالموضوعين المذكورين، ولا يتصوّر مبدئياً أنه يخوض فيما يُؤوّل عادةً أنه معادٍ للموقف الرسمي، أو موالٍ للخصوم (أعداء الوطن) أو هو في سبيل الارتزاق. وإنه ذلك أن الموقف الرسمي القائل بمغربية الصحراء التي هي جزءٌ من أرض عليها سيادة وتاريخ وولاء الصحراويين «للبيعة»، في مواجهة الخصم الذي «يقدّس» مبدأ تقرير المصير، وما يتفرّع عنه من تصوّرات واتهامات، شكّل من حوله، بناء على تصور تاريخي وتجارب ميدانية وشعارات دعائية، ما يمكن وصفه بالرأي العام المستند على قناعة سياسية وتاريخية على علاقةٍ بالتحرير والسيادة الوطنية. ومفهوم الرأي العام هنا أنه موقفٌ راسخ، وإن يكن في تحوّل متفاوت تمليه الظرفيات والاستخدام المتواصل للحجة الوثوقية، في دينامية ما (حوار، تفاوض، أو صراع)، ولكنه لا يحيد عن المبرّرات التي حوّلته، في خمسة عقود تقريباً، إلى خطط استراتيجية في الدفاع عن القضية (وهي بحكم الطبيعة وطنية)، وفي مواجهة الخصوم (هم خصوم معارضون تلك القضية)، وكذا في تحديد السياسات الواجب اتّباعها في كل ظرف ومرحلة، ورسم الاختيارات المطلوبة، تبعاً للتطورات الجارية على صعيد من الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية.

والحقيقة أنه بسبب هذا الاقتناع القطعي، بل بتحوّل باستمرار إلى ما يُطلَقُ عليه «دوغما» (خصائص لا تقبل النقاش في نظر الاتباع)، تماماً كما يحدُث في تصوّرات دينية كثيرة حينما تنغلق على التصوّر «المانوي»، حيثما يتبلور الشعور الخاص بالاستحالة، أو بالمنع، أو بهما معاً دفعةً واحدة، إلى نوعٍ من المغامرة التي قد تثير من حولها، في الشروط وتسعى لانتخاب رئيس للجمهورية، بينما كانت هذه الجهة تحديداً من يعرقل إجراء هذا في موعده بذرائع واهية، ويهدف فرض مرشّح حزب الله المنصب رئاسة الجمهورية اللبنانية. صحيحٌ أن مهما كان الحراك السياسي على الساحة الداخلية اللبنانية محزناً ومثيراً للإحباط، فإنه لا يقارن بمشاهد البؤس اليومي التي نراها يومياً، ولا يُفاس بالتوحّش الذي تمارسه إسرائيل على لبنان. لكنه مؤلم أن يشهد اللبنانيون إسرائيل تقطع أوصالهم وتخنقهم وتحاصرهم بالنار والموت، فيما تحاول رموز السلطة اللبنانية السياسية الفاشلة لملمة أشلاء ما تبقى من الوحدة الوطنية المعرّضة للتشظي والانفجار في أي لحظة.

(كاتبة لبنانية)

> أمسى الاقتراب من موضوع الصحراء كالاقتراب من النار تماماً تصيب المستجير بها، إنْ وُجِد، بالحرق

أن للموقف التاريخي، أو السياسي من قضية الصحراء، علاقةً أصلاً بمبدأ تقرير المصير الذي حولته «بوليساريو»، كما قلت، إلى «مقدّس»، وترتكز عليه الدولة الجزائرية في دعمها الانفصال عن المغرب، أو بأطروحة «مغربية الصحراء» التي هي الأساس التاريخي للسيادة المغربية على الأرض، بالإضافة إلى مقترح الحكم الذاتي حلاً متفرعاً عن تقرير المصير غير المقدّس، ومقبول في إطار اقتسام الحكم أو السلطة (الجهوية الموسّعة) تحت سيادة الدولة المركزية.

والمراد من ذكر هذا كله هو الوصول إلى الفكرة: أن احتكار الرأي في الحديث أو تحليل القضية الصحراوية، ومثله خبْث الحديث، أو التحليل المتصل به، عن «الجبهة الشعبية»، أو جمهوريتها المفترضة التي تحتكر التمثيل «الهوياتي» للصحراويين وحدها بدون سند، وركنه في دائرة التخوين أو المنع، هو أكثر ما يسيء إلى حرية التعبير عن الرأي، أو التصريح بالموقف، بل لعله في الإساءة أعنف من الأشكال القانونية أو الصيغ التوافقية التي تُصطنَع عادة لتدبير قضية من القضايا. والحال أن الموقف المبدئي، المبني على أساس تاريخي مكين، عليه الأدلة والوثائق الدامغة، ليس في حاجةٍ، مهما كان الاختلاف في التقدير كبيراً، أو النقد الصريح قوياً، لأي حافزٍ استثنائي، وقد تكون له طبيعة إكراهية، للظهور بأي مظهر كان في انسجامه أو تناقضه. ولا يعيب السلطة، وإنْ لم تكن ديمقراطية، أن يكون بين مؤسساتها أو مواطنيها من يرى خلاف ما تراه، على الأقل في الحدود المقبولة التي تراعيها وترعاها «الوحدة الوطنية» والاستقرار والسلم. أما فكرة معاقبة المخالفين لها في الرأي والموقف لتحييدهم قصداً، أو استعداء الناس عليهم، فقد دلّت تجارب التوافق السياسي، ولو من باب الاحتمال، أن فيه إغناء للموقف المشدّد وإحقاقاً للرأي المخالف المشروع.

ومهما بدا هذا القول ذا طبيعة أخلاقية ترتبط ربما بحُسْن السلوك السياسي في المجال الديمقراطي المفترض، ففيه ما فيه العمل بالاختيار الديمقراطي المذّعى من حقوق، لعل أعظمها في المجال السياسي هو الحرية المصونة لأقلية، وهي حرية ومساحة تفكير، للتعبير عن الاختلاف الذي لا يُفسد للقضية مغربيّتها أو تقرير مصيرها.

(كاتب مغربي)

كاريكاتير — كيفل كارتونز

لبنان بين جحيمَين

رندة حيدر

دخل لبنان في أتون صراع وحشي ودام لم يعرف مثله اللبنانيون، حتى المخضرمون منهم الذين شهدوا الغزو الإسرائيلي في 1982، وأطلق عليه الإسرائيليون اسم «عملية سلامة الجليل»، يومها نتج من الحرب خروج المقاومة الفلسطينية المسلحة من لبنان، لكن إسرائيل فشلت في تغيير النظام السياسي في البلد وتوقيع اتفاق سلام معها. وانتهت كل المشاريع السياسية لإسرائيل بفوضى عارمة، وشكلت درساً قاسياً لإسرائيل بأنّ عليها تجنّب الدخول في مغامرات سياسية في لبنان. وحتى تجربة «الحزام الأمني» التي أقامته في الجنوب واستخدماها عملاءها من جيش لبنان الجنوبي باءا بفشل ذريع مع انسحاب جيش الاحتلال عام 2000، وهروب فلول الجيش أمام تقدّم قوات حزب الله وسيطرته على القرى والبلدات الجنوبية عسكرياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً. أما تجربة حرب تموز (2006) بين إسرائيل وحزب الله، فقد انتهت بعد شهر تقريباً من المعارك «بالتعادل السلبي»، باعتراف خبراء إسرائيليين عديدين، ومنذ 18 عاماً تحوّل حزب الله إلى القوة العسكرية والسياسية الأساسية المسيطرة على لبنان، وأكبر تهديد عسكري لإسرائيل في شمالها.

يختلف العدوان الإسرائيلي في 2024 عن سابقاته، لأنه يأتي في سياق مواجهة ضارية يخوضها محور المقاومة بقيادة إيران وحلفائه ضد إسرائيل والدول الغربية المتحالفة معها، وفي مقدّمتها الولايات المتحدة، منذ أكثر من عام مع بداية عملية طوفان الأقصى، ومع تحوّل حرب الإسناد التي بدأها حزب الله في 8 أكتوبر/ تشرين الأول 2023 إلى حرب استنزاف، ثم إلى عدوان إسرائيلي وحشي مدمّر.

يدّعي الإسرائيليون أن الغرض من أعمالهم العسكرية، ضرب حزب الله وقيادته وتدمير بناه العسكرية والضغط عليه للقبول بالشروط الإسرائيلية التي تعرفها إسرائيل وحدها. وفي الواقع، شاهدنا كيف تغيرت أهداف العدوان بسرعة جنونية، من هدف «إجبار قوات الرضوان على التراجع إلى ما وراء خط نهر الليطاني»، وصولاً بعد اغتيال الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله إلى فرض واقع مختلف في جنوب لبنان، وربما في لبنان كله، والحديث عن شرق أوسط جديد. ولدى اللبنانيين خبرة في توسع أهداف حروب إسرائيل، تماماً مثلما تجاوز جيشها في 1982 خط نهر الأولي ووصل خلال أيام إلى بيروت وطريق بيروت - دمشق. وعلى أي حال، حتى الهدف الرسمي الإسرائيلي للعدوان على لبنان، المتمثل بإعادة الأمان إلى سكان مستوطنات الشمال إلى منازلهم بعد الضربات التي تكبدها حزب الله، يبدو صعب التحقق في الظروف الحالية. إذ على الرغم من كل الاغتيالات والتدمير المنهجي للقرى وموجة التهجير الواسعة للبنانيين من قراهم، لا يزال الوضع الأمني على الحدود الجنوبية خطراً وشائكاً. وعلى الرغم من عمليات «التطهير» التي يزعم الجيش أنه يقوم بها في البلدات المتاخمة للحدود، فهذا لا يضمن أي عودة في ظلّ القصف الصاروخي المستمر يومياً على شمال إسرائيل. بمعنى آخر، تبدو الأهداف الإسرائيلية الموضوعة للعدوان كلها صعبة التحقق راهناً وفي المستقبل القريب. أنتقل إلى الجحيم الداخلي اللبناني. ليس عن كارثة النزوح الذي غيّر، بين ليلة وضحاها، وجه العاصمة، وأدى إلى الموت اليومي لعشرات المدنيين الأبرياء، ولا عن الخسائر الهائلة في كل جنى اللبنانيين في هذه السنوات الصعبة الحالكة، بل أود التوقف عند مساع يبذلها أركان الحكم لاسترجاع شيءٍ من المبادرة السياسية وبناء إجماع وطني وطرح خطّة تطالب بوقف إطلاق النار. محزن مشاهدة رموز كانت في أساس الأزمة السياسية في لبنان، واستفادت من فائض القوة العسكرية لحزب الله، لتحقيق مكاسب سياسية على حساب سائر الشركاء، هي نفسها التي تقود مبادرة إنقاذية للبنان، وتسعى لانتخاب رئيس للجمهورية، بينما كانت هذه الجهة تحديداً من يعرقل إجراء هذا في موعده بذرائع واهية، ويهدف فرض مرشّح حزب الله المنصب رئاسة الجمهورية اللبنانية. صحيحٌ أن مهما كان الحراك السياسي على الساحة الداخلية اللبنانية محزناً ومثيراً للإحباط، فإنه لا يقارن بمشاهد البؤس اليومي التي نراها يومياً، ولا يُقاس بالتوحّش الذي تمارسه إسرائيل على لبنان. لكنه مؤلم أن يشهد اللبنانيون إسرائيل تقطع أوصالهم وتخنقهم وتحاصرهم بالنار والموت، فيما تحاول رموز السلطة اللبنانية السياسية الفاشلة لملمة أشلاء ما تبقى من الوحدة الوطنية المعرّضة للتشظي والانفجار في أي لحظة.

> تبدو الأهداف الإسرائيلية للعدوان على لبنان صعبة التحقق راهناً وفي المستقبل القريب

(كاتبة لبنانية)

حرب الجنوب... على ماذا تعتمد إسرائيل؟

فاطمة ياسين

تؤكّد إسرائيل، عبر خريطة قصفها الجوي واستهدافها مواقع منتقاة في دول الإقليم، أن الخرق في صفوف أعدائها واسع جدّاً ومستمر، وتدفّق المعلومات عليها لا يكاد يتوقّف، بما يعني أن هناك قناة «آمنة»، يبدو أنها لن تنضب، تستقي منها إسرائيل معلوماتٍ دقيقة تستخدمها في هجوماتها الناجحة. والنجاح يعني أن الهدف تحقّق، وإصابة مباشرة قد تمت، رغم أن الأضرار الجانبية الناتجة من الاستهداف تكون كبيرة أحياناً، ولكن يبدو أن إسرائيل أصبحت مستعدّة لتلقي لوم المنظمات الإنسانية وجماعات حقوق الإنسان أكثر من ذي قبل، وكانت صورتها قد تلطخت بالفعل خلال حرب غزّة المستمرّة، وأظهرت عدة دول تعاطفها مع غزّة بعد مشاهدة شلال من الصور والمقاطع التي تعرض معاناة من هم تحت القصف. ولكن يبدو أن إسرائيل غير مستعدّة لتفويت الصيد الثمين الذي حصلت عليه في لبنان، لقاء مزيد من اللوم الذي لن يغير من الحقائق كثيراً، حيث برهنت على مقدرة استخباراتها الفائقة، وساعدتها أكثر سمعة قرى الله التي تصرّرت بشدة منذ أن تدخّل في سورية. قصفت إسرائيل جميع قرى الجنوب اللبناني مرّات عديدة في الفترة الماضية، وهذه سياسة كانت إسرائيل قد أعلنتها على لسان غادي آيزنكوت بعيد الانتهاء من حرب 2006 مبا

أحوال النظام السوري وقد توسّعت الحرب

عمار ديوب

صامتاً، وكأنّه غادر محور المقاومة. هكذا جلس ينتظر نتائج الحرب على غزّة. لم يشارك بأيّ دعم في حرب الإسناد الّتي خاضها حزب اللّه والحوثيون ومليشيات عراقية تابعة لإيران. لم يهتم بالعمليات المؤلمة التي تعرّض لها حزب الله، البيجر واللاسلكي ومقتل قيادة الرضوان وحتى التعزية بحسن نصر الله تأخر بها عدّة أيام؛ ولكنّه أعلن الوقوف مع اللاجئين اللبنانيين، وتقديم المساعدة الكاملة لهم داخل سورية.

أحدث صمتُه ذاك فجوةً مع إيران، ولكن الأخيرة أصبحت تتحكّم في قطاعات كثيرة في البنية الصلبة لديه؛ الفرقة الرابعة وأجهزة أمنية تابعة لها، وكثيرين من القيادات العسكرية والأمنية. مصدر ضمانة كتلة الرئيس أن قوّة إيران داخله محكومة لمعادلة التوازن؛ فلروسيا أيضاً قادة وفرقٌ وأجهزة وقواعد عسكرية، ومن ثم، لا يمكن لإيران التمادي في السيطرة الكاملة، وهذا ما يَسمح لرأس النظام وكتلته بالصمت وانتظار النتائج. مع اشتداد الحرب ضد لبنان، قامت دولة الاحتلال بكثير من القصف الجوي ضمن سورية، وتركّز أغلبه على مواقع إيرانية وتابعة لحزب الله أو على مواقع تستفيد منها هذه الجهات. تريد بذلك استغلال الدعم الأميركي، للثأر من حزب الله، والذي يمتد إلى عقود وليس فقط بسبب حربه الإسنادية، وتَلقى دولة الاحتلال تأييداً واسعاً في الغرب باعتبار حزب الله رفض الإقرار بتطبيق قرار مجلس الأمن 1701. الجدير ذكره أن النظام تلقّى تهديدات كثيرة بأن يجلس جانباً ومنذ طوفان الأقصى من دولة الاحتلال، ولهذا يغرق بصمته وكأنّه فارق الحياة. أزمة النظام المتعدّدة الأوجه جعلته في غاية الإنهاك، وكذلك مكنت روسيا وإيران منه بشكلٍ كلّيّ. الضربات المتتالية على حزب الله داخل لبنان ستُضعفه كثيراً، وقد يضطر إلى نقل الكتلة الأكبر من قواته إلى لبنان، ولكن ذلك سيُضعِف النظام بدوره؛ وقد كان حزب الله القائد الفعلي للمليشيات في سورية، وكان تأثيره كبيراً في عموم المنطقة. مع معرفة النظام بهذه النقطة الهامة، سيستفيد من ضعف الحزب، حيث أصبح بمثابة قوّة آمرة عليه إلى جانب روسيا وإيران، وهذا مما لا يطيقه.

انتهى النظام الذي كان يصول ويجول في المنطقة، ومن أكبر الأخطاء تسويق فكرةٍ جديدة تقول إن ضعف إيران وحزب الله سيسمح له بالعودة إلى لبنان! إن نظاماً لا يستطيع استعادة جغرافية بلده بالتأكيد لا يستطيع التمدّد خارجيّاً؛ بنيته الأمنية والعسكرية في غاية التفكك، ومن ثم، لا أجد صواباً في تحليلاتٍ كهذه. حالة النظام، وفي غمرة الاندفاعات الصهيونية والردّ الإيرانيّ أنّه ينتظر النتائج، والنجاة بنفسه، ولا شيء آخر. كان الردُّ الإيرانيُّ أخيراً على مقتل إسماعيل هنية وحسن نصر الله والآخرين من صنف الردّ بعد عملية القنصلية في دمشق في إبريل/ نيسان الفائت، أي لم يكن مؤلماً وموجعاً، ويمكن أن يكون كذلك إن حُوصرت أكثر فأكثر أو قُصفت بشدّة، ويتضمن ذلك رسالة أن إيران لن تتخلى بسهولة عن أذرعها الإقليمية، وتريد عقد صفقة مع الإدارة الأميركية بما يخص الاتفاق النووي، والاستمرار في الهيمنة الإقليمية من ناحية، وربما توافق على تقليص هذا الحضور في بعض المناطق مثل غزّة ولبنان! لن تصمت دولة الاحتلال عن الردّ الإيراني، فهي ترى أن حركة حماس وحزب الله والحوثيين والمليشيات العراقية تحت إمرة إيران، وأنّها أصبحت تهدّد أمنها. تريد دولة الاحتلال استعادة هيبتها وتغيير الشرق الأوسط وفرض هيمنتها عليه، وهي تحاول ذلك منذ «طوفان الأقصى»؛ هذه الدولة، وبعد أن نقلت معركتها إلى لبنان وسورية إلى حدٍّ ما، وبعد الرد الإيراني ستكثّف الحرب في لبنان وسورية، وستوسّعها نحو إيران، وربما في الأيام المقبلة. كان الموقفان، الأميركي والإيراني، بعدم التوسعة، وفعلت إيران المستحيل من أجل ذلك، وحصر العدوان على غزّة، ولكن ذلك انتهى الآن. إن تبني أميركا لعدم التوسعة من قبل وتقييد دولة الاحتلال في غزّة أصبح ماضياً. يبدو أن سير المفاوضات مع الرئيس الإيراني، بزشكيان، وفريقه الإصلاحي، لم يؤدِّ إلى نتيجة إيجابية، ومن هنا جاء الرد الإيراني. ولكن هذا ستستغله دولة الاحتلال للردّ، ولن تتوانى عن قصف المواقع النووية الإيرانية وربما النفطية وأنظمة الدفاع الجوي، والمراكز الأساسية في الحرس الثوري، واغتيال بعض الشخصيات، تراها

> صمت نظام الأسد تجاه غزّة ولبنان لن ينقذه، ولمحاولته التموضع ضمن محور الاعتدال شروط كثيرة، وقد تعطلت تقريباً

الأكثر تشدّداً ضدّها؛ هل هذا ممكن؟ فرصة حكومة نتنياهو الحالية، والانتخابات الأميركية بمرحلة انتقالية، ستستغلها أشدّ الاستغلال. هل سترُدُّ إيران من جديد، أم ستصمت كما صمتت دولة الاحتلال في أثناء الرد؟ هذا ممكن. تفيد محدودية ردّ طهران بأن الأخيرة تريد إعادة الأوضاع إلى سابق عهدها، بينما ما فعلته حكومة الاحتلال وبالتحديد بعد تصفية حسن نصر الله يقول إن الخطوة المقبلة، ولو لم يحصل الرد، هي مهاجمة إيران.

لم يعد النظام السوري مقبولاً دولياً، وهو لم يتمكن من استعادة سورية. لم يستطع تغيير الوقائع تغييراً حقيقياً رغم الدعمين الروسي والإيراني ومسار أستانة؛ ظلّت درعاً غير مستقرّة ودخلت السويداء في انتفاضة مستمرة منذ أكثر من عام، وهناك انفكاكٌ كبيرٌ للحاضنة عن تأييده وموالاته، وهو ملاحقٌ بجرائم أمام القضاء الدولي، كذلك لا يمكن لبعض الدول الأوروبية والعربية المطبّعة معه، أو الساعية نحو التطبيع تغيير كل هذا المشهد. صمت نظام الأسد تجاه غزّة ولبنان لن ينقذه، ولمحاولته التموضع ضمن محور الاعتدال شروط كثيرة، وقد تعطلت تقريباً، وهي بذاتها مشروطة أميركيّاً، وعدا ذلك ارتباطه بالمحورين، الإيراني والروسي، والذي يعيده إلى بيت الطاعة كلّما حاول المغادرة؛ إن إيران وكلّما اقترب من السعودية أو تركيا تسارع إلى إرسال دبلوماسييها لضبط محاولاته أو إيقافها. ستحاول كتلة الرئيس السوري استغلال كل لحظة ضعف لدى إيران للتفلّت من قبضتها، ولكن روسيا وتركيا ليستا قادرتين على تعويمه، والأميركان ليسوا في هذا الوارد. ورغم ذلك، هل يمكن للسياسة الأميركية أن تتغيّر، ولا سيّما بعد أن امتهن الصمت، وتضمّه إلى محورها مع دولة الاحتلال، كما ترغب بعض الدول الأوروبيّة والعربية؟ هذا تحوّلٌ دونه تعقيدات كثيرة، ومن ثم، ستكون سورية، في الأيام المقبلة، إحدى ساحات الصراع بين مليشيات إيران ودولة الاحتلال، ولن ينجو نظام دمشق مما تراكمت عليه من أزمات منذ 2011، ولن تُحلَّ قبل البدء بتفكيكه.

(كاتب سوري)

نتنياهو يستعجل النتيجة: سيّداً على المنطقة

جورج كعدي

الإفراط في التفاؤل المستقبليّ والثقة بالنفس سمةٌ عامة لقادة المشروع الصهيونيّ الإحلاليّ الدخيل، منذ النشأة والبدايات، ويتجلّى هذا «التفاؤل» المفرط في كلام متكرّر له عن شرق أوسط عربيّ وخليجيّ يطبّع معه توالياً، وعن ازدهار آتٍ بالتأكيد يكون «العقل الإسرائيلي» موجِّهَهُ ومديره، والمال العربي ممولَهُ وشريكاً فيه! اليوم، وقبل انجلاء غبار المعركة وتكشّف نتائجها في فلسطين ولبنان وعموم المنطقة العربية بلوغاً إلى إيران، يستعجل نتنياهو النهاية، ويعد باستكمال قريب لحلقات التطبيع، وبخاصة مع السعودية، كأنّه يقول واثقاً جدّاً إنّ غزّة انتهت، ومثلها حزب الله وإيران، وإن مشروع «الممانعة» والمقاومة قُضي عليه، وينبغي الشروع في التفكير بمرحلة ما بعد، فالنصر الإسرائيلي، بحسب رؤية نتنياهو المتفائلة، أُنجز وتحقّق، فليبدأ الإعداد لليوم التالي.

بالعودة إلى الثالث من مايو/ أيار 2024، كشف مكتب نتنياهو يومذاك عن خطة لمستقبل غزّة على طريقة «خطة مارشال» الأميركية لإعادة إعمار أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، والهدف تحقيق «ازدهار غزّة كجزء من البنية الإقليمية لاتفاقيات التطبيع»، والتخلص من الخطر الذي تشكله باعتبارها «معقلاً أمامياً لإيران». ووفقاً للخطّة التي نُشرت بالعبرية على شكل وثيقة، ثمة ثلاث خطوات لنجاح هذا المشروع الذي عاد نتنياهو إلى التذكير به قبل أيام في تصريح مقتضب: الخطوة الأولى تحمل عنوان «المساعدات الإنسانية» وتمتدّ على 12 شهراً تنشئ «إسرائيل» خلالها مناطق آمنة خالية من سيطرة حركة حماس، بدءاً من شمال القطاع لتنتشر ببطء جنوباً. وسيوزّع تحالف من الدول العربية (السعودية والإمارات ومصر والبحرين والأردن والمغرب) المساعدات الإنسانية (السخاء من جيوب الآخرين!)، ويشرف عليها في المناطق الآمنة، فيما سيدير فلسطينيو غزّة المناطق الآمنة تحت إشراف الدول العربية. تمتدّ المرحلة الثانية من خمس إلى عشر سنوات، تحتفظ فيها «إسرائيل» بالمسؤولية الشاملة عن الأمن في غزّة، بينما تنشئ الدول العربية هيئة متعدّدة الأطراف، تسمّى «هيئة إعادة التأهيل» تتولى الإشراف على إعادة إعمار غزّة وتمويلها، ويسيّر فلسطينيو غزّة شؤون «هيئة إعادة الإعمار» التي ستتولى مسؤولية إدارة المناطق الآمنة. وتتضمّن المرحلة الثانية هذه برنامجاً لمكافحة التطرّف. عنوان المرحلة الثالثة «الحكم الذاتي» مع احتفاظ «إسرائيل» بحقّ العمل ضد «التهديدات الأمنية» في غزّة، حيث تنتقل السلطة ببطء إلى حكومة محلية في القطاع أو حكومة فلسطينية موحّدة (تشمل الضفة الغربية) مع اشتراط على هذه الحكومة أن تجتثّ «التطرّف» وتجرّد قطاع غزّة من السلاح. وفي المرحلة النهائية من الخطة، يدير الفلسطينيون القطاع بشكل مستقل، وينضمون إلى «اتفاقيات أبراهام».

وبحسب هذه الخطة – الوثيقة، التي يردّها نتنياهو إلى دائرة الضوء، فإن جزءاً من جهود إعادة الإعمار سيشمل «إعادة إعمار من لا شيء» وإنشاء مدن جديدة «من الصفر»، لتضمّ تصاميم جديدة وتخطيطاً حديثاً. وتسلّط الخطة الضوء على مزايا عديدة ستنعم بها الدول المعنية، وتتمثل الميزة الرئيسة، فضلاً عن الأمن في جنوب الكيان المحتل، بالتطبيع مع السعودية. أما المزايا لدول الخليج فتشمل اتفاقيات دفاعية مع الولايات المتحدة، والوصول غير المقيّد إلى موانئ غزة على البحر الأبيض المتوسط، من خلال السكك الحديد وخطوط الأنابيب. ووفق الخطة: إذا نجحت تجربة غزّة، فمن الممكن تكرارها في اليمن وسورية ولبنان. وبالنسبة إلى سكان غزّة، فإن أكبر «المزايا» بعد انتهاء سيطرة «حماس» ستتمثل بالاستثمار الضخم في القطاع، وتوفير فرص العمل الضخمة، فضلاً عن مسار التوحيد مع الضفة الغربية وتحقيق الحكم الذاتي.

وتتجسّد الخطة الإقليمية الأوسع في تكثيف المشاريع الضخمة مثل «نيوم» السعودية وتنفيذها في سيناء، ما يحوّل غزّة إلى ميناء صناعي مهم في المتوسط، يكون بمثابة المركز الرئيس لتصدير النفط السعودي والمواد الخام من الخليج، وليس البضائع الغزّية فحسب. وتدعو الخطة إلى إنشاء منطقة تجارية حرّة ضخمة تشمل سديروت وغزّة والعريش، ما يتيح لـ «إسرائيل» وغزّة ومصر الإفادة من الموقع على نحو تعاوني. ومن خلال الجمع بين الاستثمارات الجديدة في البنية التحتية وتكامل المنطقة، ستساعد حقول الغاز المكتشفة حديثاً شمال غزّة في دعم الصناعة المزدهرة. بهذا المشروع «الوردي» الخيالي الافتراضيّ يعد بنيامين نتنياهو نفسه «وعد إبليس بالجنة». يقيم في مخيّلته الخصبة فردوساً اقتصادياً فائق الازدهار ويراه موجوداً متحقّقاً، على طريقة من يُطلق كذبةً ويصدّقها. لا يدرك «ملك إسرائيل» غير المتوّج أنّ الأوهام والأحلام الجميلة ليست كلّها قابلة لأن تمسي واقعاً متحققاً. لعلّه غير مدرك أيضاً أن خداع المرابي التاريخي لا يصحّ على الدوام، فمن عساه يشكّ لحظةً في أن خطة اقتصادية «ورديّة» كهذه سيقطف المرابي الصهيوني وحده ثمارها وخيراتها وثرواتها، ولن يترك له شريكاً فيها بعد أن تستتبّ له مع شركائه الأميركيين والغربيين الهيمنة الاقتصادية والمالية والعسكرية، وسيجرّد عرب الثروات والتطبيع حتى من الملابس التي تستر عريهم وعارهم، وسيستولي على كل شيء، الأرض وما فوقها وما في باطنها، وسيجمع في أرض العرب والمسلمين يهود العالم كلّه، ويغدق عليهم من أموال العرب ونفطهم وغازهم، وسيكون قومه أسياد المنطقة بلا منازع، مرّة واحدة وإلى الأبد، وسيكون أهل المنطقة عبيداً عند السيد الصهيوني، وستزول الحضارتان العربية والإسلامية بلا عودة.

> يقيم نتنياهو في مخيّلته الخصبة فردوساً اقتصادياً فائق الازدهار ويراه موجوداً متحقّقاً، على طريقة من يُطلق كذبةً ويصدّقها

(كاتب وأكاديمي لبناني)

أين موقع حرب السودان في المناظرات الأميركية؟

جمال محمد إبراهيم

(1)

حينما ودّع المجتمع الدولي في العقد الأخير من الألفية الثانية كياناً مصنوعاً من عدة دول اسمه الاتحاد السوفييتي، كان ذلك إيذاناً بتحوّل كاسح في الساحة الدولية، وبات واضحاً أن السّاحة الدولية قد ودّعتْ، وقتها، حقبة مهمّة استمرّت منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وحتى تسعينيات تلك الألفية، هي ما ظلتْ توصف بحقبة الحرب الباردة. وليس غائباً على المتابعين أن الحرب العالمية الثانية شكلت محطّة تغيير كبير في تثبيت حق الشعوب في تقرير مصائرها، فكانت المنظّمة الأممية التي أنشئت بهدف أساسي، هو حفظ الأمن والسلم الدوليين، بهدف أن لا تقع أي حرب عالمية ثالثة. واقتضت تلك السياسة إقرار نظام للتعايش السلمي تنال بمقتضاه كل الشعوب حقها في الحرية والاستقلال، وإنهاء الاستعمار الكولونيالي، والعمل على الحدّ من التسلح وتعزيز الحقوق العامة للإنسان. على أن مثل هذه المفاهيم لم تمنع التنافس السياسي والاقتصادي بين مختلف القوى الكبرى التي أنشئت ودعمت ذلك النظام الدولي، من أن تبدأ تنافساً خفياً في تلك الحقبة، حمل اسم حقبة الحرب الباردة.

(2)

غير أن تناقص الموارد الطبيعية، مع الانفجار السكاني في العالم، شكّلا مع قضايا أخرى بعد ذلك، تحدياتٍ، برزتْ معها نوازع للتنافس في السيطرة الاقتصادية والسياسية، بين عناصر وأطراف في المجتمع الدولي لم تفلح معه كوابح للحدّ من جنوح الأطراف الأقوى للسيطرة على قوى أخرى، فجرى استضعاف ممنهج بعد ذلك، كثر الحديث عن عالم أول وثالث، ولم يتم تعريف كتلته الثانية. إلا أن العالم بدأ يدخل، بعد حقبة الحرب الباردة، إلى حقبة من الكولونيالية الاستعمارية بلبوس مختلف، وبمواصفات جديدة، ومسمّيات في الساحة الدولية، أساسها مبدأ رعاية الأكبر للأصغر والأقوى للأضعف. ولعلك ترى وتسمع لطبيعة التعاون الدولي وقد نشأت في جنباته منظماتٌ وتكويناتٌ دولية وشبه دولية وإقليمية، تحت مظلة الدبلوماسية الجماعية المشروعة، مثل الكومونولث والفرانكفونية، تنظم الاقتصاد والتجارة والثقافة، وتعنى بقضايا التكنولوجيا والاتصالات والمناخ والبيئة وسواها.

(3)

من الطبيعي أن تعمد الدول، كلّ الدول، إلى التعاون في أجواء سلمية، إلا أن تناقص المواد الأولية والطبيعية يحفّز سلباً نزعات المطامع والاستحواذ، ومن ثم إعادة سياسات السيطرة، والتي في غلوها، أفضت إلى حروب إقليمية طاحنة. ومع التقدم العلمي، انكشف العالم وشعوبه بوتيرات غير مسبوقة بعضُه على أحوال بعض، بعد ثورات الاتصالات والتقنيات الرقمية. ولعلّ ذلك ما جعل شعوب العالم كأنها تحيا في نطاق أسرة واحدة تقتسم خيمة افتراضية، تتمازج فيها الأهواء بتناقضاتها، وتختلط فيها الرغائب بالسويّ منها والشرير. لكن يبقى الأقوياء هم الأقوياء القادرون على السيطرة المستوحشة أو الناعمة، وترى المستضعفين، وإن كاد بعضهم أن يستكبر في توهّم كاذب فيما هم أيضاً عرضة لنزعات الكولونيالية الجديدة وهجماتها.

(4)

لو نظرت ملياً في الخلفية المشار إليها هنا إلى سماتها، لك أن تتابع في الفضائيات احتدام ما جرى في المناظرات في الولايات المتحدة هذه الأيام، بين من يترشّحون لإدارة الأمور الداخلية والخارجية فيها، احتداماً بلغت سخونته درجات غير مسبوقة. في المناظرة أخيراً بين المرشّحين لانتخابات الرئاسة الأميركية، الديمقراطية هاريس الجمهوري ترامب، فتح الاثنان ملفات السياسة الخارجية حول ما يدور في السّاحة الدولية، وما يتصل بالمصالح الحيوية الخارجية للولايات المتحدة، واكتفيا بمناقشة الحربين في غزّة وفي أوكرانيا، ثم تناولا تداعيات الانسحاب الأميركي من أفغانستان. وفي معرض مناقشاتهما، أشارت المرشّحة كامالا هاريس إلى ما خلفتْ الحرب المدمّرة في غزّة من القتلى من النساء والأطفال، كما أشار ترامب، في المناظرة، إلى ملايين أوكرانيين متأثرين جراء الحرب الروسية ضد بلدهم، وأشار إلى قدرته لإيقافها في ساعات لو أتيحت له الفرصة.

> تناقص المواد الأولية والطبيعية يحفّز سلباً نزعات المطامع والاستحواذ، ومن ثم إعادة سياسات السيطرة

(5)

لن يجد من تابع المناظرة من أوّلها إلى منتهاها سؤالاً واحداً من منظّميها عن الحرب الدائرة في السودان منذ قرابة عامين، والتي هلك فيها الآلاف ودُمِّر فيها بلدٌ هو ثالث أكبر بلد في القارة الأفريقية من حيث المساحة والسكان والموارد. ومن ثم، لم يرَ أيٌّ من المشاركين في المناظرة: من منظّميها أو مِن طرفيها المتنافسين، ما يحيلهم إلى النظر في مأساة حرب السودان مع وضوح الأصابع الأجنبية الوالغة فيها، وما لها من تداعياتٍ على تدمير كامل مقوّمات الدولة السودانية ومؤسّساتها، وإجبار الملايين من سكان البلاد إلى نزوح داخلي وخارجي، وترك السودانيين عرضةً للفناء بالقتل والمجاعات.

(سفير سوداني سابق)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير **معن البياري** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■ المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **لياك حداد** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads